Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نظرنا إلى داخل نفوسنا لوجدنا عن طريق الإستبطان أن الوعى ما هو إلا « تيار مستمر » . . . « نهر أو تيار » وهى التشبيهات التى يمكن بها وصف هذا الوعى ، ويقول « دعونا نطلق عليه من الآن فصاعدا تيار الفكر أو تيار الوعى أو تيار الحياة الذاتية . » وبعد أن زود القصاصين بمجال يستطيعون أن يطفو فيه ويسيلوا معه استطرد يحدثهم على المشاكل التى قد تنتج عن هذه الفلسفة وأهمها مشكلة الذات . ويقول أن شخصيتنا ليس لها نفس واحدة كما يظن القصاصون أو العلماء ، بل تتكون من عدة نفوس ، أو بالأحرى ، من مجموعة متغيره سائلة من النفوس دون حدود مرسومة .

وفى نفس الوقت ثار برجسون على التجريد الميكانيكى ونادى بالحدس أو التعاطف الذهنى وقال أن الحقيقة تكمن فى « المتغير الذى لا يمكن تقسيمه » ، فى الوعى ذاته . وهذا الاستمرار نوع من « الآنية » التى تجعلها الذاكرة آنية مستمرة ، أو كما تقول جرترود شتين ، « حاضر يبدأ من جديد دائماً » . والمشكلة فى العلم أو المنطق أو الساعات هو محاولتها إخضاع هذا السيل الجارف المستمر المتغير من الحقيقة إلى إدراك معين أو فكرة معينة .

ولعل هنرى برجسون قد عبر أصدق تعبير عن فلسفة ويليام جيمس حين قال . « إن الواقع — كما يراه جيمس — كثرة وفيضانا من الأشياء . أن الفرق بين هذا الواقع والواقع الذى يبنيه الفلاسفة كالذى بين الحياة التى نحياها كل يوم ، والحياة التى يعرضها علينا الممثلون فى رواية مسرحية ، حيث لا يقول أحدهم شيئاً سوى ما يجب عليه أن يقول ، ولا يفعل سوى ما ينبغى أن يفعل ، وحيث توجد فصول ومناظر مقسمة ، وللفصل بداية ووسط ونهاية . أما فى الحياة فلن نجد من هذا شيئاً : نجد حشداً من الكلام وقد تؤدى مجموعة من الحركات والإرشادات لا جدوى منها . ليس هناك شيء يمر كاملا ، حلوا ، كما نريد ، كما أنه لا توجد خاتمة مرضية نقف عندها